الملعـــون

الملعـــــون

شعـــر

هشـــام فـايـز

اسم الكاتب: هشـام فايـز
اسم الكتاب: الملعــون
تدقيق لغوي: هشـام فايـز
تصميم الغلاف: فارس حسن
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى – أغسطس ٢٠١٩ م
رقم الإيداع: 2019 / 15804

١١٤ ع جنوب الأحياء – السادس من أكتوبر
Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017
ت / ٠١٠٣٠٣٦٥٨٠١

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

إليها

لا شيء بعدكِ دائمٌ

فالورد جافاه العبقْ

والجسم يخلو من رمقْ

حتّى القصائد قد أبتْ أنْ تستكين على الورقْ

والحبر جفّ من القلمْ

لا شيء بعدكِ دائمٌ

.. إلّا الألمْ

إهـــداء

لأنّا جلسنا هنا مرةً

أطوف بهذا المكان كثيرا.. أعانقه موضعًا موضعا

أميل على كل ركن جلستِ إليه.. أُقبّله أربعا

وأصبحتُ أعشق طعم الحليب مع الزنجبيلِ

لأنّا شربناه يوما معا..

اليوم دونكِ

اليوم دونكِ ليس يوما
إنّما دهر طويلْ
ساعاته لا تنقضي
وكأنّ قرص الشمس لا ينوي الرحيلْ
يوم ثقيلْ
لحظاته شوقٌ.. دقائقه حنينْ
يوم يمرّ بلا ابتسامتكِ الرقيقة إنّه يوم حزينْ
ذقتُ الثواني والدقائقَ.. لم أجدْها غير مرّ
اليوم دونكِ لا يمرّ
إلا كما تمضي السنين على السجينْ

مجنونهْ!

في حبّ امرأة مجنونهْ

تستيقظ تهتف: طلّقني

وتبيتُ الليل تعانقني

وتقبل كفّي ترجوني: لا تتركْني.. لا تتركْني

فأعود وقلبي يهزمني

نستيقظ في اليوم التالي..

وبلا سببٍ

تهتاج وتدفعني دفعا

فأحاول أنْ أدنوَ منها

فتقاوم وكأنّي أفعى!

فأعود لأجمع أغراضي

فتطوّق ظهري خائفة..

تتوسل حتّى أتمهّلْ!

وتقول: حبيبي لا ترحلْ

لا تتركْني.. مهما أفعلْ

لكنّ الهاتف حين يرنّ

تبدو وعليها مَلِك الجنّ

تتخيل بعض الأشياءْ

تتوهم أنّي زير نساءْ

وبغير دليل تتّهمُ

وصباحي ضربٌ.. أو شتمُ

فأثور وأوشك أضربها

تبكي وتقول: أنا أعلم..

أنا لستُ لديكَ سوى نزوهْ..

ماذا تحتاج سوى الشهوهْ!

فأقول أحبّكِ.. لا أكثر

فتبيتُ بحِضني ضاحكة

تمسح رأسي وتعانقني

تستيقظ فجرا: طلّقني

وتعود الحال الملعونهْ

لا أعلم هل هذا سحرٌ!

أم أنّ الغرفة مسكونهْ

في حبّ امرأة مجنونهْ..

الرّجُلْ!

أراقبه قادما في وَجَلْ
ملامحه قد بدتْ جامدهْ
وأفعاله كلها باردهْ
وفي عينيه نظرة شاردهْ
تفكّر في الهجر دون رجوعْ
ولا شكّ قد حان وقت الرحيلْ
سيتركني اليوم بعد قليلْ
فيا ويلتي.. فعل المستحيلْ!
وعيناي لا تُمسكان الدموعْ
على وجهه هدأة وجمودْ
فأبكي.. ولا أستطيع الصمودْ
ويا ويل أنثى تُطيل الصدودْ
إذا خدشتْ كبرياء الرجلْ

على وجهه اليوم يبدو الملْ

تحمّل في حبه ما احتملْ

به ألف جرح ولن تندملْ

بقولٍ.. ولا لهجة جازعهْ

يُذكّرني صمته يوم ثُرتْ

ويوم استهنتُ.. ويوم غدرتْ

فلن يغفر اليوم مهما اعتذرتْ

ولو كنتُ في ذلّة راكعهْ

ويجمع أغراضه كلها

لقد كان معتزما فعلها

وألّا يحذرني قبلها

فيمضي ويقسمُ ألّا يعودْ

لقد كان يُرجئ وقت العقابْ

ويمهلني ليسوء الحسابْ

وكم بيدي كان يلقى العذابْ

وقابلتُ إحسانه بالجحودْ

سيتركني.. منتهى الجبروتْ!

وليس يبالي.. أعيشُ! أموتْ!

ويجمع أغراضه في سكوتْ

محقٌّ.. إذا ما مضى للأبدْ

أراقبه راحلا في وَجَلْ

سأخسره.. لن تُفيد الحِيَلْ

ولا لن يُعوّض هذا الرَّجُلْ!

أأقتل نفسي له.. كي يظلّ؟!

سيتركني.. ليس عندي أملْ

الملعونْ

طعنتِ القلب مرّات بلا ذنبٍ

فيا للبائس المطعونْ!

أيا سجني الذي أحيا به حرّا

وأخرج منه مضطرّا

أنا المسجونْ

أنا من ذاب في عينيكِ مثل الماء والمِلحِ

أنا المطحون بين يديكِ كالقمحِ

أنا المعجونْ

بدمع العين والعجزِ

أنا المطهوّ بالأشواق كالخبزِ

أنا المفتونْ

أنا من صُغتُ تمثالا من العاجِ

وضَعتُ عليه أخيلتي كما التاجِ

وهِمتُ به.. كبجمليونْ

بربّكِ أيّ حبّ ذاك يجعلني..

أبيتُ الليل مقتولا

وأقضي اليوم مخذولا

وأشرد فيكِ يا ليلايَ كالمجنونْ!

أتيتكِ بعد تَرحال من الديجور للصبحِ

وحين سألتُ إنصافا.. حكمتِ عليّ بالذبحِ

أنا المطعونِ بالرمحِ

ونصل الخنجر المسنونْ

***

أنا من ذاق من عينيكِ ما أسكرْ

وحين أفقتُ حسّتني سنابك خيلكِ العسكرْ

أنا المنقاد بين يديكِ لا أكثرْ

أنا المرهونْ

أنا من أورد الراياتِ في عينيكِ منصورا

وأصدرهن مقهورا

أنا لا كنتُ مذكورا..

ولا سأكونْ

أنا من كنتُ صلصالا كما الفخّارْ

عشقتُ فأحرقتْني النارْ

وقال الحبّ كنْ.. لأكونْ

أنا المهديّ والمختارْ

أنا من كنتُ مرضيّا كما الأبرارْ

فأين الوعد بالجنّات تجري تحتها الأنهارْ؟

وأين اللؤلؤ المكنونْ؟!

أنا من ضلّ في واديكِ قرب الشاطئ الأيمنْ

فما أبصرتُ من قَبَس.. أنا والليل إذ هيمنْ

وتهتُ الأربعين الجدبَ.. بين التين والزيتونْ

***

أنا من جئتِه حبوا.. فما استعلى.. وما استكبرْ

ولما جئتِ بالسكينِ ما ولّى.. وما استنكرْ

وتلّ جبينه طوعا.. على الأنصاب كي يُنحرْ

ليفدي سرّكِ المدفونْ

***

تعالى الموج من حولي.. ولم تأتي لإنجائي

ولم أُنصتْ لمن نصحوا.. ولم أُهرعْ إلى جبل لإيوائي

ظننتُ الحبّ يعصمني من الماءِ

فلذتُ بركنكِ المأمونْ

وفاض الماء من حولي.. وقد أصبحتُ في مَعزِلْ

وحالتْ بيننا الدنيا.. فلم أصعدْ ولم أنزلْ

وسارتْ فُلككِ المشحونْ

بربّكِ.. أيّ عدل ذاك في أنّي..

أُدعّ إليكِ معصوبا

وأُحمل كي يُدقّ بكفي المسمار مصلوبا

أتيتكِ حاملا كفني.. فكيف أُردّ مغلوبا

أنا ما اخترتُ أنْ أهواكِ لكنّي..

جرعتُ هواكِ مغصوبا

فحبكِ لم يكنْ حبّا.. ولا عشقا.. ولا مرضا

ولكنْ لعنةً ممزوجة بدمي

فيا ويلي.. من اللعنات والألمِ

أنا الملعونْ

هي لم تكنْ

هي لم تكنْ
لكنْ بأوهامي صنعتُ خيال ظلّ
قوّلتُه ما لم يقلْ
ووضعتُ فيه مشاعري وخواطري
حتّى الطهارةَ.. والبراءةَ.. والخجلْ
في كلّ يوم كنتُ أُكمل من خيالي لمسةً
حتّى اكتملْ
ووقفتُ منتظرا حياةً.. أو وجيبًا.. وانتظرتُ على أملْ
لكنّها بقيتْ خيالا جامدا
لا شيءَ من رُوح وعقلْ
لا قلبَ ينبض.. لا حديثَ ولا جدلْ

ومع الظلام تقزّمتْ.. وخبتْ.. فأدركتُ الخللْ

هي لم تكنْ

كانتْ خيالا واندثرْ

لو أنّها حقا هناك لما اضمحلّتْ كالخيالْ

لكنّها بعض الظلالْ

والظلّ لا يبقى كما يبقى البشرْ

ودّعتُها.. وظللتُ أرقب خطوها

كانتْ خطاها في الرمال بلا أثرْ!

هي لم تكنْ

لكنّ شيئا في طريق الضوء كان ملوّحًا.. وظلاله لاحت بعيدا

ولعلّها كانتْ ستارا.. أو عمودا

ولعلّها كانتْ عصا..

أو ربّما ثوبا قديما.. أو حديدا

شيئا إذا الضوء استطار حسبتَه رأسا وجيدا

لكنّها كانتْ جمودا

لا شيءَ ينبض بالحياة.. فلا تنفّسَ أو وريدا

هي لم تكنْ

أنا من جعلتُ لها وجودا

غريقْ

ليس لي شيء هنا
لا حبيبٌ أو قريبٌ أو صديقْ
وكأنّي كنتِ أبغي وِجهة أخرى.. فأخطأتُ الطريقْ
أيها الملّاح لا مالَ لديّ
أسدِ معروفا إليّ
واقطع البحر ولا تطوِ الشراعْ
وتعجّلْ.. ليس من خلفي عزيز للوداعْ
واقطع البحر العميقْ
أو فدعْني.. إنْ تخوّفتَ الرياحْ
وتجاهلْ في الصباحْ
صوت من نادى لإنقاذ غريقْ

عزيزْ

ثم قالتْ: ما دهاك؟!

قد تبدّلتَ وفي وقت وجيزْ!

كنتَ وجهين.. صبيّا وحكيما

أين هذا الطفل إنّي.. لا أرى إلّا العجوزْ؟!

كنتَ أدفا الناس قلبا!

صرتَ- عذرا- في برود الإنجليزْ

لستَ تخشى الموت أو حتّى الفراقْ..

لا اهتمامٌ.. لا اكتراثٌ.. لا استباقْ!

ليس غالٍ

قلتُ فورا: أو عزيزْ

ترابْ

وكنتِ كأنّكِ كنز ثمينٌ.. عليه من الترب ألف حجابْ
توارى عن الأعين الباحثاتِ.. وضلّل من آثروا الاقترابْ
فودّعتُ أهلي.. وفارقتُ أرضي.. ومنّيتُ نفسي بذاك الثوابْ
تحمّلتُ برد الليالي.. وحرّ الهجير.. وشتّى صنوف العذابْ
وكم كدتُ أهلِك من قلّة الماءِ.. حين خُدعتُ ببعض السرابْ
تحمّلتُ عاما.. فعاما.. أُنقّبُ.. عند الجبال وبين الهضابْ
تمرّ السنين ولا شيءَ يبدو.. ولكنْ.. أُصرُّ.. وآبى الذهابْ
حفرتُ.. وفي كل أرض حفرتُ.. تركتُ من العمر بعض الشبابْ
حفرتُ.. وحين حفرتُ نزلتُ إلى القاع.. حيث تزيد الصعابْ
حفرتُ ولم يبقَ في الوسع شيء.. ولا ناقة إنْ أردتُ الإيابْ
حفرتُ.. حفرتُ.. حفرتُ.. حفرتُ.. وليس هنالك إلا الترابْ

رحلتِ

لماذا رحلتِ بلا موعدٍ؟

تسلّلتِ في الليل وحدك..

كما اعتدتِ أنْ تفعلي دائما

فلم تكُ أوّل مرّة

ألا تذكرين؟

لقد كنتُ طفلا

وحين سمعتكِ ذاك المساء

تقولين إنّ عليكِ الخروج

وقفتُ بجسمي الضئيل

وصحتُ وعاندتُ: لن تخرجي

صرختُ وحين اعترضتُ طريقكِ

أمسكتُ ثوبكِ ثم بكيتُ: خذيني معك

أشرتِ وقلتِ: تريد الخروج بغير حذاء!

هُرعتُ وأحضرتُ فورا حذائي

وحين رجعتُ!

علمتُ بأنّكِ قد سرتِ دوني

بكيتُ لأنّي تمنّيتُ أنْ تأخذيني

إلى أين؟! ليس يهمّ

أريد بقاءكِ قربي فحسب

بغير طعام.. بغير دواءْ..

ولو نمتُ في البرد دون غطاءْ..

ولو سرتُ في الحرّ من غير ماءْ

فلم أكُ أعبأ إلّا بأنّي.. أكون معك

تمنيتُ لو تمكثين معي.. ولكنْ مشيتِ

وها أنتِ بعد ثلاثين عاما

رحلتِ.. كما اعتدتِ أنْ تتركيني

لماذا تسلّلتِ دوني؟!

إذا كنتُ ألبس ثوب الخروجِ

وما زلتُ ألبس هذا الحذاءْ!

قالتْ

قالتْ: كتبتُ رسالتي في ساعة.. أو نصفها.. وكأنّني لا أعقلُ

إنّي مكبّلة بعشقكَ سيّدي.. فأجبتُها: إنّي كذاك مكبّلُ

قالتْ: فإنّ الشوق طال بمهجتي.. فأجبتُها: والله شوقي أطولُ

قالتْ: فإنّ إليكَ قلبي مائلٌ.. فأجبتُها: قلبي إليكِ لأميلُ

قالتْ: فؤادي بالغرام قتلتَه.. فأجبتُها: إنّ الفؤاد مقتَّلُ

قالتْ أتبخل بالسلام على يدي؟.. فسألتُها: من ذا يراكِ ويبخلُ؟!

قالتْ: جهلتَ بقدر من تيّمتَها.. فأجبتُها: ما مثل ذلك يُجهلُ

قالتْ: أحاطتكَ النساء فخنتَني.. وذهبتَ تحفل بينهنّ وترفُلُ

وخلفتَ عهدا بيننا، من بعد أنْ.. آمنتُ أنّ هواكَ لا يتبدّلُ

فأجبتُها: أقسمتُ بالله الذي.. سوّاكِ بدرا بازغا لا يأفلُ

وحباكِ عطرا كالمروج تضوّعا.. وأسال شعركِ فاحما يتهدّلُ

إنّي على عهدي وربّكِ شاهدٌ.. والقلب لا ينسى ولا يتحوّلُ

ولئنْ نساء العالمين دعونني.. ودعوتِني.. لهُرعتُ لا أتمهّلُ

قالتْ: هجرتَ، وصار تيهكَ باديا.. فأجبتُها: بل ضارعٌ أتذلّلُ

قالتْ: فمن تلكَ التي شغلتكَ عن.. وجهي.. ومن بجمالها تتغزّلُ؟

فأجبتُها: والله لا الدنيا.. ولا امرأةٌ بها.. عن حسن وجهكِ تشغَلُ

أفردتُ حبكِ في الفؤاد ولم أزلْ.. لجمال وجهكِ قانتا أتبتّلُ

ولئنْ أتتْني سكرة الموت الزؤام بمرّها.. ما كنتُ عنكِ لأذهلُ

فتبسّمتْ نشوى وقالتْ: حطّةٌ.. صدّقتُ جهلا ما يقول العُذّلُ

موت

أيّها الموت.. تمهّلْ!

كم من الوقت سنبقى في خلافْ؟!

زرتَ كلّ الناس غيري

لم تذرْ طفلا وليدا.. أو عروسا في زفافْ

فلماذا.. كلّما أبصرتَني أعرضتَ عنّي؟

هل تخافْ؟!

يقولون

يقولون فيكِ ملامح منّي!

بياضكِ.. عيناكِ.. خدّاكِ.. صفحة وجهكِ

لا شكَّ أنّكِ أجمل لكنْ..

يقولون يجمع بيني وبينك شيء كثير!

يقولون رُوحك تشبه رُوحي..

وأنّ التماثل يبدو علينا

وأنّي تغيرتُ منذ التقينا

أسرّوا إليّ بشيء عجيبْ!

يقولون إنّ الذين يحبّون يصطبغون بلون الحبيبْ!

يرونكِ فيّ..

إذا ما خجلتُ..

إذا ما ضحكتُ

إذا ما غمزتُ بعيني

إذا ما استندت إلى راحتي.. بخدي وذقني

يرونكِ في جلستي الساهمهْ

يرونكِ في وقفتي الحازمهْ

وفي هدأتي.. وفي جرأتي

وفي همساتي.. وليني.. وصبري..

وفي هذه النظرة الصارمهْ

يقولون إنّكِ مثلي

بقلبي.. وفكري.. وعلمي.. وفنّي

وفي الجدّ والهزل.. واللوم والصفح.. حتّى الخيالْ

وحفظ العهود.. وكره الجدالْ..

وفي حسن ظنّي

يقولون عنّي

قسيمكِ.. نصفكِ.. عدلكِ..

لكنْ..

لقد كان أعجب شيء سمعتُ..

يقولون يستمعون لصوتكِ حين أغنّي!

أبحث عن حجابْ

دخلَ الجنودْ

وضعوا الرباط على فمي

حلّوا أساور معصمي

وأبي الضريرْ

قتلوه غدرًا في السريرْ

وأخي الصغيرْ

نزعوا الغطاء وكبّلوهْ

عبثوا بلعبته الصغيرةِ.. عذّبوهْ

نزعوا حجابي.. واستباحوا هتك أعراض النساءْ

وقفزتُ من سطحٍ إلى سطحٍ.. أجاهد كي أفرّ

خلفي صراخ مستمرّ

أعدو وتنبحني الكلابْ

وهُرعتُ أبحث عن حجابْ

***

سافرتُ من حلب إلى صنعاء والخرطوم حتّى القاهرهْ

في أرض مصر وجدتُ ناسا طيّبينْ

كانوا كأهلي.. محسنينْ

ليلا.. نبيت على الحصيرْ

ونعيش في كنف القبورْ

لا سقفَ يحمينا من المطر الغزيرْ

نتقاسم الرزق اليسيرْ

والخبز لا يكفي الفَطورْ

حتّى إذا قالوا نثورْ

دخل الجنودْ

قتلوا الرجال وركّعونا بالسلاحْ

نبشوا القبور.. وكلُّ شيء مستباحْ

حتّى العجائز والنساءْ

الدار ترجُف بالبكاءْ

ماذا لنا.. إلّا الدعاءْ!

وسترتُ شعري واختبأت فأدركونيْ

نزعوا الحجاب وعذّبونيْ

حتّى إذا أَفْلَتُّ منهم قرب بابْ

تركوا السلاح وأطلقوا خلفي الكلابْ

وهُرعتُ أبحث عن حجابْ

***

في مكةَ استوقفتُ شيخا في الطريقِ.. فقال لي:

ادعي لمولانا وليّ الأمر حتّى يكشف الله البلاءْ

وتحجّبي.. من رأسكِ المكشوف حلّ على مدائننا الغلاءْ

فأجبتُه: إنّي هُرعتُ إلى المدينة خائفهْ

ونسيتُ ثوبي حين أدركني الخطرْ

قد شفّ ثوبي بالمطرْ

تجتاحني تلك الرياح القاصفهْ

فلتحمِني..

قال: الحماية في السماءِ.. تجلّدي

وتضرّعي لله يرسلْ عاصفهْ

تقضي على أعدائنا

هذا وباء حلّ في بلداننا

لا مخرجٌ من غمّنا.. إلّا دعاء مستجابْ

فعدوتُ من بلد إلى بلد تطاردني الذئابْ

نبذٌ.. وتجريحٌ.. ونهشٌ.. واغترابْ

أوليس يكفي أنّني غادرتُ أرضي؟!

ورهنتُ قُرطي

والضفائرُ بعتُها، لأصون عرضي

وخدمتُ كي أحيا شريفهْ

والناس تنهشني بأقوال عنيفهْ

عودي لأرضك يا غريبهْ

أنَّى أعود وكان في إثري كتيبهْ؟

ولمن أعودْ؟!

أهلي على الأنقاض باتوا

وعشيرتي بالغاز ماتوا

أمّا الذين نجوا.. فها هم قد تواروا في الركامْ

وسقطتُ مغشيّا عليّ

يا لِلضعيفة، أدركوني

يا أهل يثربَ دثّروني

وتعالت الأصوات تنهشني.. وأبواق السياسهْ

عريانة أمشي بأسواق النخاسهْ

فسترتُ رأسي وانحنيتْ

وابتاعني برميل زيتْ

الآن لي سقف وبيتْ

بل سيّد يقضي الليالي في ضجرْ

هذا الخَصيّ يريدني.. وغلامه الروميّ أولاه الدبرْ

كم ليلة سيدوم لي هذا الصمودْ؟

قاومتُه كيلا يعودْ

هاجمتُهُ

ودفعتُهُ

حتّى إذا عيّرتُهُ.. نادى الجنودْ

نزعوا لباسي.. ركّعوني

من كل سِتر جرّدوني

والناس حولي يشهدونْ

أبكي.. ولا يتحرّكونْ

يتهامسونْ

وأنا أقاوم الاغتصابْ

حتّى سقطتُ على الترابْ

أحبو.. وتتبعني الكلابْ

وزحفتُ أبحث عن حجابْ

اضطراب

أنتِ تخفين اضطرابا

وأنا أُخفي اهتماما

كلّما أبصرتِني وحدي

تعلّلتِ وألقيتِ السلاما

فأُطيل القول عمدا

كي أرى منكِ ابتساما

أنتِ تُخفين كثيرا

وتخافين صدودي

وأنا أُخفي كثيرا

خلف صبري وجمودي

ثم أشياءُ قليلهْ

تخبر السر الدفينْ

هل لنا في ذاك حيلهْ

غير إخفاء الحنينْ

وستخفين وأخفي

ضعفكِ الجمّ.. وضعفي

واضطرابي.. كلّما سلّمتِ واستشعرتِ كفّي

وستخفين وأخفي

لهفة واريتُها لكنْ تجلّتْ رغم أنفي

وستخفين وأخفي

ذلك الحبّ الذي صار جليّا

رغم أنّي لم أقلْ شيئا.. ولم أنطقْ بحرفِ

وستخفين.. وأخفي..

شفاعة

يا قلبُ.. تذكر عذرها الواهي.. وتنسى فعلها!

تأتي تُذكّرني بقول جارح قد قلتُه غضبا.. وتنسى قولها!

فإذا أساءتْ بالفعالِ.. تقول سهوا أخطأتْ

وإذا أساءتْ بالكلام تقول مسرورا: أتبصرُ دَلّها؟

وإذا أردتُ شفاء غيظي قلتَ لي: أنتَ الحليم.. فكيف تفعل مثلها؟!

وإذا عزمتُ الهجر ناديتَ: اتئدْ.. واذكر جميل خصالها.. وجمالها

وإذا أتتْ شيئا مُسيئا جئتَني.. تتلو أمامي ألف عذر قبلها

وإذا أتتْ ندمانة.. قلتَ: التمس عذرا.. فإنّ بها هموما

وإذا تباكتْ فوق صدري قلتَ: قبّلْها وحاذرْ أنْ تلوما

ولئنْ تشاجرنا أعُدْ توًّا.. وتركضْ خلفها!

حتّامَ أغفر جهلها؟!

يا قلبُ.. لا تشفعْ لها

ارحلي

اسمعيني مرة واحدة قبل السفرْ
ريثما يسكت صوت الرعد.. أو ثجّ المطرْ
واتركي قلبي وحيدا في متاهات القدرْ
اتركيني.. قد أتي وقت التنائي لا مفرّ
فاسمعيني.. وارحلي بعد السماعْ

***

كل ركن ها هنا يحمل ذكرى غاليهْ
وشجيرات زرعناها بأرض نائيهْ
اذكري كيف رويناها السنين الماضيهْ
من لها بعدكِ يبقى.. غير عين باكيهْ؟!
ونجوم شاخصات في الوداعْ

***

كان حبّي لكِ يُغني عن قليل أو كثيرْ
لم تكوني تعرفين الحزن أو حتّى الفتورْ
ولنا في ذلك البيت حياة ومصيرْ
فلماذا تُظهرين الآن لي هذا النفور؟!
وكأنّ البيت قشّ وترابْ!

***

أنا ما زلتُ أراهُ مولد العهد الوثيقْ
ولنا في كلّ ركن ذكريات كالرحيقْ
فلماذا قد تبدّلتِ وأحسستِ بضيقْ
وشُغِلتِ الآن بالدنيا عن القلب الصَّدوقْ؟!
وغدا تلقَينها مثلَ السَرابْ

***

كم سمعتِ الشعرَ منّي وأناشيدَ الحنينْ
فلماذا أصبح الشعر خيالَ الأولينْ؟!
أصبح القيثار واللحن سواءً والأنينْ!
والهوى قد صار مثلَ الشعرِ مسًّا من جنونْ
وربوعي بين هدمٍ واحتراقْ!

***

فاتركيني.. واغرقي كالناس في دنيا الفناءْ
اتركي دنيايَ إنّي لم أجدْ فيكِ الوفاءْ
ارحلي حيث تريدين بهذي الكبرياءْ
نحو أوهامٍ ستذروكِ.. كإعصارِ الهواءْ
صرتِ مثلَ الناسِ تهوينَ النفاقْ

***

اسخري منِّي ومن حبّي ولكنْ إنْ رحلتِ
فاحذري أنْ تذكريني.. أو تعودي إنْ مللتِ
لن يغيب البدر عن آفاقه مهما فعلتِ
لن يضلّ النجم في ليلي إذا أنتِ ضللتِ
لن يكونَ النهرُ يومًا في جفافْ

***

جرِّبي أنْ تعشقي غيري.. أحبّي واتركيني
جرِّبي دنيا الخطايا تعرفي صدقَ حنيني
فإذا أحببتِ يومًا.. فانزعي فرحَ سنيني
وضعي حزنيَ تاجًا.. وتَغَنَّي بأنيني
وانسجي من أدمعي ثوبَ الزفافْ

لا تغيبي

أنا من دونكِ طفل تائهٌ

فجديني.. في متاهات طريقي

واهتدي أين مكاني.. من نحيبي

إنّني أخشى الليالي

وخيالات الغروبِ

لا تغيبي

وإذا باسمكِ أطلقتُ صراخي

فاستجيبي

عانقيني..

وعديني.. أنْ تكوني جانبي

ليس بعد اليوم فقدٌ أو وداعْ

ربّتي رفقا على ظهري..

وضمّيني بقدر المستطاعْ

مثل أمٍّ..

وَجدَتْ طفلا لها بعد الضياعْ

إنّني قلّبتُ وجهي

ثم لم أدرِ شَمالي من جنوبي

غابت الشمس.. وإذ بالريح غضبَى..

وأنا وحدي مع الأنواء والريح الهَبوبِ

مغمضا عينيّ من هذا الغبارْ

ليس لي بيتٌ.. ولا حتّى جدارْ

فعديني..

أنْ تكوني لي ملاذا.. يحتويني

أنْ تقصي لي حكايات طوالٍ قبل نومي

سأناديكِ بأمي

فلتناديني.. بطفلي.. أو صغيري..

أو حبيبي

إنّها ليستْ بطولَهْ

إنّها ليستْ بطولَهْ
أنْ تغطّي وجهك الناضحَ مكرا.. بقناع من طفولَهْ
وابتسامات خجولَهْ
ثمّ تُخفي تحت جفنيكِ الدهاءْ
وبريق الكبرياءْ
تغمسي المِروَد في بعض الحياءْ
ثمّ تطلي منه أهدابا كحيلَهْ
وتُريني.. ثوبكِ الأسود مصبوغا بألوان الفضيلَهْ
إنّها ليستْ بطولهْ
أنّكِ استخدمتِ عطفي كوسيلَهْ
فتقرّبتِ إلى قلبي الغريرْ
ذات يوم قمطريرْ

دون قلب أو ضميرْ

واصطنعتِ العشق حتّى توقعيني بسهولَهْ

***

إنّها ليستْ بطولَهْ

أنّكِ استبسلتِ حتّى تملكي قلبي بأيّام قليلَهْ

تُوقعيني في شباك خادعاتْ

تُغرقيني في وعود كاذباتْ

تأسريني.. بابتسامات جميلَهْ

إنّها ليستْ بطولَهْ

أنّكِ الأمس تسوّرتِ حياتي.. بوداد كالجبالِ

وتسلّلتِ إلى محراب زهدي وانعزالي

وتزيّنتِ لعينيّ بلطف وجمالِ

وتوسّلتِ إلى قلبي تريدين وصالي

ثمّ دلّيتِ فؤادي.. بغرور ودلالِ

ثمّ أنهيتُ اعتزالي

ليتني كذّبْتُ عينيكِ ولم أبرحْ مآلي

ليتني أيقظتُ قلبي من خيالي

قد رأيتُ اليوم كم أنتِ فخورٌ

أنّكِ الأمس تلاعبتِ بحالي

***

إنّها ليستْ بطولَهْ

أنْ يكون الغشّ أسلوبا لفوز بالمشاعرْ

ويكون الحبّ سهما عابثا في كفّ غادرْ

تخدعيني بالهوى كي تسمعي بعض الخواطرْ

بعض أبيات لشاعرْ

تلك أبياتي التي خُطّتْ على هذي الدفاترْ

قبل أنْ يُقتل قلبي بين أحراشكِ غِيلَهْ

إنّها ليستْ بطولَهْ

تخبريني أنّني عشق وعمر وحياهْ

أنّني أملك حقا كلّ ما كنتُ أراهْ

أنّ أحلامي ستُبنى بيديكِ

ثم لا ألقى سوى الموت لديكِ

وبقايا من أمانيّ القتيلَهْ

***

إنّها ليستْ بطولهْ

أنْ تخوني ثقة كانتْ قويّهْ

بعد أنْ بحتُ بأسراري الخفيّهْ

حين أخبرتكِ ما نقطة ضعفي الأزليّهْ

فتربّصتِ وسدّدتِ إليها

كي تصيبي الجُرح في قلب الرميّهْ

وتكوني السرّ في هذي الجراح الأبديّهْ

لم تكنْ تلك بطولهْ.. بل دنيّهْ

أنْ يكون اللهو بالناس شهيّهْ

ويكون الحبّ هزلا في حياة عبثيّهْ

ثمّ من أجل تِلِعّابكِ أحيا.. في دموع سرمديّهْ

أنا لا كنتُ غبيا.. لا.. ولا كنتِ ذكيّهْ

بل كلانا كان فعّالا لما تُملي السجيّهْ

غير أنّي لم أكنْ مثلكِ بدّال الهُويّهْ

لم أكنْ أعرف ما الغدرُ.. ولا أدري أصولَهْ

***

إنّها ليستْ بطولَهْ

بل خطيئهْ

حين تحيين لياليكِ الهنيئهْ

بعد أنْ أغطشتِ أيّامي المضيئهْ

وتركتِ القلب مذبوحا بسكين بطيئهْ

لا تقولي كان هذا دون عمد أو مشيئهْ

أو تقولي: أنا من هذا براءٌ

لستِ والله بريئهْ

فلقد أبصرتُ في عينيكِ فخرا وجحودا

آهِ.. كم كنتِ جريئهْ

إنّها ليستْ بطولَهْ

أنّني لم آلُ جهدا كي تعيشي في هناءِ

وعلى بابكِ قدّمتُ خضوعي وولائي

وإذا أذنبتِ وضّأتُكِ خمسا ببكائي

ثمّ من أجلكِ أذللتُ كثيرا كبريائي

وتهاونتُ بحقي

فتهاونتِ بحبي ووفائي

كنتُ أُعطيكِ ذراعي.. سندا عند الشدائدْ

بينما كنتِ تحيكين المكائدْ

كنتِ تسعين تريدين انتهائي

***

إنّها ليستْ بطولَهْ

أنّكِ استرسلتِ عاما في خداعي

وتحمّلْتِ عناء دون داعِ

وتصنّعْتِ طباعا كطباعي

ثمّ من قبلة عشق زائفٍ

تقطر السمّ كأنياب الأفاعي

كان طيشي واندفاعي

كنتِ تُملين شروطا..

وأنا أخضع خوفا من جفاء أو وداعِ

كنتِ لي نقطة ضعفٍ

فإذا أبديتُ رفضا واعتراضا..

كنتِ تلوين ذراعي

***

إنّها ليست بطولَهْ

أنّني كنتُ سقيم القلب.. مهزوم الكِيانْ

حينما جئتِ بفيض من حنانْ

وتحدّثتِ بسحر وافتتانْ

ثمّ هدهدتِ فؤادي.. فاستكانْ

ثمّ أعطيتُ الأمانْ

وغضضتُ الطرف عن أيّ إساءهْ

وقبلتُ العذر حتّى ظهر الغدر فُجاءهْ

سالخا وجه البراءهْ

كي تصيبيني بجُرح.. لم أزلْ أرجو شفاءه

وأعيشَ العمر معقود اللسانْ

عاجزا عن أيّ نطق أو بيانْ

ضائق الصدر بقول.. لستُ أقوى أنْ أقولَهْ

إنّها ليست بطولَهْ

المزادْ

بدأ المزادْ

وعرضتُ نفسي صائحا

من يشتري؟

فلتنصتوا.. وتجمّعوا.. إنّي منادْ

أهلي.. أحبّائي وأصحابي.. هلمّوا كلكم

قد جئتُكم حتّى أباعَ.. فهل لديكم مشترٍ؟

هيّا أجبْني يا أبي.. هل تشتريني؟

ابن مطيع لا يطالب بالحقوقْ

لا فيه جهل أو عقوقْ

بَرٌّ.. ويشهد بالولاءْ

هل تشتري؟

ارفع يدا إنْ كنتَ ترغب في الشراءْ

لن تشتري!

لا بأسَ..

أمّي..

هل لديكِ المال حتّى تشتري؟!

لا تقلقي.. سعري زهيدْ

سأُعيد وصفي من جديدْ

طفل مطيعٌ.. لا عنيدْ

برٌّ بأمّي..

لن تعبئي أبدا بهمّي.. بل دعيني في مكان واذهبي

لا تقلقي.. سأظلّ ملتزما مكاني

أنا لستُ أسأل عن وداد أو حنانِ

أو قصة حتّى أنامَ.. ولا أغاني

حتّى إذا أحسستُ أنّي خائفٌ..

فبلا شكايات سأكتم ما أُعاني

لن تسمعي صوتي أنادي باكيا والكلّ نائمْ

هيّا ادفعي بعض الدراهمْ

لن تشتري!

حسنا..

هناكَ.. تقدموا

هل تشترون؟

هيّا.. أخي.. أختي.. أجيباني بصوت واضحٍ

أهناك من يرجو أخا؟

دمثا.. محبّا.. طيّبا

من يشتري؟

حسنا..

هناكَ..

أتشترين حبيبتي؟

هلّا اقتربتِ لتسمعي وتفكّري قبل الجوابْ

قلبي الذي يهواكِ معروض أمامكِ.. سعره سعر الترابْ

قلب أمين لا يغيّره الزمانُ.. وليس يغدر أو يخونْ

هل تشترينْ؟

لا بأسَ.. يبدو أنّكم لم تسمعوني بانتباهْ!

سأصيح آخر مرّة والكلّ سامعْ

أنا ها هنا لأبيعكم نفسي بأرخص ما هناكَ.. ولا أُخادعْ

رجل كريم.. طيّب.. حسن الطبائعْ

لا بالغليظ ولا المنازعْ

هذا وإنْ حمّلتموه كريهة..

يحملْ.. وليس لديه مانعْ

سمْحٌ.. ومصطبرٌ.. وقانعْ

من يشتري؟ .. من يشتري؟ .. من يشتري؟

لا بأسَ

إنّ الكلّ بائعْ!

حَجَرْ

وقالتْ:

ألا تشعر النار في مهجتي؟!

ألا تفهم الحبّ من لهجتي؟!

أحبّكَ جدا..

ومِن ذلك الحبّ يبدو الخطرْ

ويا ويل قلبي..

إذا لم تحنّ

لعلّي أُجنّ

ستحمل ذنبي..

وذنب فؤادي إذا ما انتحرْ

أجبْني..

متى كنتَ تعشقْ

تهيم وتغرقْ

وتبكي فتُحرقْ

متى شفّكَ الحبّ حتّى انتصرْ!

تحدثني وبكلّ شرودْ..

بكلّ جمودْ..

بعينين لا تُنعمان النظرْ!

ألا تشعر الحبّ مثل البشرْ؟!

سكونكَ بادْ

كأيّ جمادْ

أجبْني.. أليس لديكَ فؤادْ؟!

فقلتُ: لديّ.. ولكنْ حَجَرْ

إقرار

إنّي أقرّ بأنّ حبّكِ صار أقرب للهلاك وللدمار من الجنونْ
إنّي أقرّ بأنّ قلبي قد عصاني في هواكِ ولم يعدْ بي يستعينْ
وبأنّ حبّكِ لم يزلْ بي يستبدُّ.. يعيث في نفسي ويأخذ باليمينْ
إنّي انهزمتُ أمام بسمتكِ البريئةِ.. واندحرتُ بلا وليّ أو مُعينْ
قد صرتُ مثل القائد المهزوم..من بعد انتصارٍ بات في ضيق السجونْ

***

إنّي أقرّ بأنّ في عينيكِ سحرا غامضا.. وبلا مثيل في الوجودْ
وكأنّني بشجاعتي.. وبقوّتي.. لا أستطيع أمام عينيكِ الصمودْ
عيناكِ جيشٌ.. مستبدٌ.. مهلكٌ.. جيش وليس له سلاحٌ أو جنودْ
كلّ الذين تحرّفوا وترصّدوا.. أُسروا.. وها هم في يديكِ كما العبيدْ
ماذا أقول وقد سُحِرتُ بنظرةٍ.. فغدوتُ منها لا أقولُ.. ولا أُعيدْ

***

إنّي أقرّ بأنّني أشتاق حِضنكِ.. كالغريقِ دنا من الشطّ الأمينْ

ولكم حلُمتُ بأنّنا كنّا معا.. تتأملين ملامحي وتعانقينْ

ما عدتُ أدري بعد أنْ عانقتِني.. كم مرّ من أيّام عمري والسنينْ! ظ

فوضعتُ رأسي فوق صدركِ واستكنتُ.. وكدتُ أنسى من حنانكِ

مَن أكونْ

ولكم شعرتُ أمام عطفكِ أنّني الطفل اليتيمُ.. وأنّكِ الأمّ الحنونْ

يجوز!

وأبصرتُها
تسير مصادفة في الزحامْ
وكم كنتُ أرغب ألّا أراها.. ولا نلتقي
فقد قلتُ قبل الفراق سأمضي بلطفٍ.. فلا تقلقي
وحين التقينا.. بدتْ لي حزينهْ
بوجه عليه شحوب وفيه اصفرارٌ
كلون العوادم في جوّ هذي المدينهْ
لديها من العمر عشرون عاما
ووجه عليه سنينُ بأكثر من ألف عامْ
وحين اقتربنا.. بدتْ لي كأمٍ عجوزْ
فهل أنهكتْها الحياةُ؟
يجوزْ!

بدتْ لي بعينين لا تحملان بريقا.. كأرض تبورْ

وجسم نحيلٍ.. كجسر عتيق تمر عليه الدهورْ!

فأين الزهور على وجنتيها؟

متى ذبلتْ فجأة ذي الزهورْ؟

متى كان هذا؟! وكل الذي مرّ بعض الشهورْ

مررتُ ولكنّها استوقفتْني.. وقالتْ: سلاما

فقلتُ: سلامْ

فقالتْ: تكلمْ

فقلتُ: وماذا يفيد الكلامْ؟

فقالتْ: أجبني ليهدأ قلبي..

أتذكر ما بيننا من غرامْ؟

أتذكر كيف بدأنا الحديث لأوّل مرّهْ!

أتذكر أوّل نظرهْ

وأوّل قول يدل على الاهتمامْ؟

أتذكر حين استرقتُ النظرْ؟

لتنشر عيناي ذاك الخبرْ

بأنّي أحبّكَ فوق البشرْ

وفوق الجنون.. وفوق الهيامْ

أتذكر مثلي حديثا طويلا.. من الصبح يبدأ حتّى ننامْ

أتذكر حين ابتسمتُ وقلتُ: أحبكَ!

كم كدتَ تفقد هذا الثباتْ

وأيّام بادلتَني الأغنياتْ

وكم كنتَ تخجل حين تخاطب بعض البناتْ

وتلفظ أسماءنا باحترامْ

أتذكر حين وصفتُ دواءك حين أُصبتَ ببعض الزكامْ؟

وحين ضحكنا؟ وحين بكينا؟ وحين اختصمنا

أتذكر لذّة هذا الخصامْ؟!

وكيف غضبتَ لأنّ اعتذاري كثير

وكيف ضحكتَ لأنّي كتبتُ "النوايا" "نوايه"

وكم كنتَ تسخر منّي، لأنّي أقول كثيرا "تمامْ"

وحين سكرنا ببعض الحديثْ

على هاتفينا نطيل المكوثْ

نحسّ بأعيننا تستغيثْ

وحين سألتَ أيزعجني أنّنا نتحدثُ في كل وقت..

وعن كلّ شيء..

فقلتُ: كلامكَ يثمر دوما

وصار حديثكَ من متعتي

وصوتكَ صار صديقي وأُنسيَ في وحدتي

أتعلم أنّي كتبتكَ فوق جميع الدفاتر في غرفتي؟!

وفوق كتاب "الدلائل"، فوق كتاب "المصادرِ"

فوق البحوث وسبّورتي

على كلّ شيء كتبتُ "هشامْ"

وباسمكَ كنتُ أُنادي رفاقي

فهذا هشامٌ.. وهذا هشامٌ.. وهذا هشامْ!

أتذكر ما كان في رمضانْ؟

لقد كنتَ تشرح لي كيف تطهو طعاما شهيّا

وعلّمتَني كيف أطهو الدجاج مع الأرز والخلّ والزعفرانْ

حديثكَ كان رقيقا، شهيّا

وكم كدتَ تُفسد صومي كثيرا

ويُنقذني منكَ صوت الأذانْ

لقد كنتَ أصعب ما في الصيامْ

تدور أحاديث لا تنتهي

بحبّ وشوق وبعض الدلالْ

وعقلي يدور بألف خيالْ

وروحكَ تسبح في غرفتي

لقد كنتَ ترسم لي بسمتي

ولا تتوقّف حتّى تغيب وتتركني لصلاة القيامْ

وحين تعود الحديث يدورْ

وفي مرّة كنتُ أطهو السحورْ

وحدّثتَني بحديث جميل

فألهيتَني.. وحرقتُ الطعامْ

وأرسلتُ من هاتفي قبلة.. وعذتُ بربّي

لأنّي أُقبّل وجهكَ دوما

بثغري.. وعينيّ.. حتّى بقلبي

وأنتَ!

لقد قلتَ إنّكَ تشعر بالأمن والصفو في حضرتي

وإنّكَ تعشق وجهي.. وغمازتيّ.. وقلبكَ يخفق من بسمتي

وحين جلستَ معي لتجرّب نظّارتي

لقد كنتَ تخدعني آنذاك لتبصر عينيّ دون زجاجْ

وأخبرتَني أنّ وجهي منير كـألف سراجْ

وأنّي كبدر التمامْ

أتذكر شِعركَ حين تغزّلتَ فيَّ وقلتَ:

"بوجهكِ بدر رأيتُ تمامهْ .. ولم أرَ أعذب منكِ ابتسامهْ"

ظننتُكَ تكتب هذا لغيري!

وقلتُ من المستحيل اهتمامكَ بي!

لقد كنتُ مهملة في ثيابي وفي مظهري

لماذا تعلّقتَ بي؟

وكان أمامكَ أجمل منّي.. وأظرف منّي.. وأعلم منّي!

لقد كنتُ في كلّ شيء فقيرهْ

لماذا أنا! والنساء كثيرهْ؟

أظنّكَ فسّرتَ هذا فقلتَ:

جمالٌ؟ هناك التي هي أجمل منكِ

قوامٌ؟ هناك التي هي أرشق منكِ

أرى فيكِ فضلاً

وأنظر نحو النساء لألقى.. هناك التي هي أفضل منكِ

لماذا أصرّ عليكِ إذنْ؟!

لأنّكِ حين همستِ أحبّكَ.. لم أرَ في الكون أصدق منكِ

صدقتَ!

لأنّي عشقتكَ جدًّا

عشقتُ بعقلي.. بروحي.. بقلبي..

وكنتَ تصدّق هذا الغرامْ

هشامْ

بديني وربّي

غرامكَ يعصر قلبي

وهم فعلوا كلّ شيء لغصبي

ولكنّ حبّك عاش ودامْ

هشامْ..

وأنا أحبّكِ

وأنا أحبّكِ.. لم تغيرْني السنينْ
لا شيءَ ملء القلب.. غيرك والأنينْ
وأنا أحبّكِ.. ليت أنّكِ تعلمينْ
أنّ الحنينَ.. يكاد يقتلني الحنينْ

***

وأنا أحبّكِ.. لا أبالي بالجراح ولا الدماءْ
وأنا أحبّكِ مكرها.. من ذا يحبّ كما يشاءْ؟
واخترتُ هجركِ طائعا.. قولي عنادٌ أو غباءْ
وأنا أحبّكِ إنّما.. بيني وبينكِ كبرياءْ

***

وأنا أحبّكِ.. لا أبالي بالصدودْ
بيني وبينكِ حاقد يغتاب.. وامرأة حسودْ
إنْ كنتُ أبدو صامدا.. فالقلب أنهكه الصمودْ
قلبي لديكِ مكبّل.. كالعبد يجثو في القيودْ
وأنا أحبّكِ.. ليت ما ولّى يعودْ

***

وأنا أحبّكِ.. والحنين ممزّقي
إنْ كنتُ أغرق في العذاب فأيّ شيء أتّقي؟!
عجبا! فكم زاد البعاد صبابتي وتعلّقي
والشوق يملأ خافقي.. يا ليته لم يخفقِ
وأنا أحبّكِ.. ليتنا لم نلتقِ

***

وأنا أحبّكِ.. حسب قلبي ما رآهْ
ذكراكِ تشعل جذوة الأشواق من كلّ اتجاهْ
والحزن يتلو قصّتي.. واليأس يكتب ما تلاهْ
والقلب يحفظ كلّ ما قلنا.. ويمحو ما سواهْ
وأنا أحبّكِ.. قدر حبّي للحياهْ

***

وأنا أحبّكِ.. لن يزول الحبّ إلّا بالمنونْ
وأنا أحبّكِ باكيا.. والناس حولي يضحكونْ
وأنا أحبّكِ خائفا.. وتكاد تقتلني الظنونْ
يا ليت ما ألقى يهونْ
وأنا أحبّكِ.. ليس حبّا.. بل جنونْ

***

وأنا أحبّكِ.. مِتّ فيكِ ولم أزلْ
أتجرّع الآلام والويلات منكِ وأحتملْ
وأنا أحبّكِ.. لا مراء ولا جدلْ
بل إنّه قلب يعانق مقلتيك على مَهَلْ
وأنا أحبّكِ.. كلّ ما عندي.. أملْ

***

وأنا أحبّكِ.. وليلمْني اللوّمُ
إنّي وإنْ أخفيتُ حبّكِ فالدموع تَكلّمُ
والشوق يفضح مهجتي.. ويقول ما لا يُعلمُ
لا أنتِ تدرين العذابَ ولا العواذل ترحمُ
وأنا أحبّكِ.. إيْ وربّي.. أُقسمُ

***

وأنا أحبّكِ.. كيف أمحو الذكرياتْ؟!
قلبي وقلبكِ عاشقان تمرّغا في الأمنياتْ
حتّى أفقنا فاحترقنا بالبكاء وبالشتاتْ
وأريد معجزة لأحييَ كلّ ما بالأمس ماتْ
وأنا أحبّكِ إنّما.. من أين لي بالمعجزاتْ؟!

***

وأنا أحبّكِ.. كلّ ما حولي شهيدْ
أيّامنا.. والشعر والشعراء.. والعِقد الفريدْ
لم تتركي من مهجتي شيئا لأبدأ من جديدْ
وأنا أحبّكِ.. آهِ يا حبّي العنيدْ

ماذا أنا؟!

ماذا أنا؟!

ماذا أشاءْ؟!

كوريقة طارتْ وعاث بها الهواءْ

وكخالد.. ذاق الثمار فحمّلتْه خطيئةً

حتّى طُردتُ من السماءْ

متناثرا.. كغبار نجم.. كالهباءْ

أجترّ أوزاري.. وذاتي بالنجوم تعثّرتْ

الأرض ترفض مستقرّي.. والسماء تنكّرَتْ

فأطوف من غير انتهاءْ

ماذا أنا؟!

إنّي خواءْ

***

ماذا أكونْ؟

وجهٌ غريب ليس تألفه العيونْ!

وأراه في المرآة مضطربا.. فأسأل في جنونْ؟

ماذا يكونْ؟!

رباهُ..

هل بصري يخونْ؟!

وجهي كمجهول مريبْ!

واسمي على سمعي غريبْ!

أُدعَى.. ولكنْ لا أُجيبْ؟!

أنساهُ.. كاسم مستعارْ

ذاتي مشتّتة الكِيان كأنّني

بعض الدخان أو البخارْ

لا شيءَ يحمل بصمتي.. حتّى الدفاتر والقلمْ!

عدم يصير إلى عدمْ

حتّى صراخي لم يعدْ كعُواء ذئب في احتضارْ

أصبحتُ شيئا هامدا

جسدا.. وليس له خوارْ

***

ماذا أنا؟!

بعضي يموتُ.. وما نجا منّي سقيمْ

الموت يأتي زائرا.. والجُرح في صدري مقيمْ

ماذا أنا؟

طفل يتيمْ

يبكي.. ويصرخ أين يا أمّاه ذا الصدر الرحيمْ؟!

أم أنّني نبت بلا جذر.. دَعِيّ! أو زنيمْ!

جذع قديمْ!

متيبّسٌ.. خاوٍ.. حطيمْ

عودي بربّكِ مرّة ثم انظري

أأنا هِشَامٌ أم هَشِيمْ؟!

***

وأخذتُ أبحثُ عن وجودي بعد منكِ فلم أجدْ

وأخذتُ أُحصي كم من المرّات مِتّ.. فلم يساعدْني العددْ

ماذا أنا؟!

بعض الغثاءِ أو الزَّبَدْ

نجم وشتّ عن السديم فظلّ يسبح للأبدْ

ومسافر.. فقد الرشَدْ

ترك العشيرة وانفردْ

حيران في الصّحْراء أبحث عن بلدْ

حتّى أموت كلالة.. لا والد لي أو ولدْ

نفسي معلقة بحبل قد تهتّك بين إرخاء وشدّ

قد كنتِ منّي الرُّوح ثم تركتِني..

فبأيّ شيء سوف ينفعني الجسدْ؟

ماذا أنا؟

أنا لا أحدْ

غريبان

غريبين صرنا..

كأنّ حياتي مضتْ دون فَهمْ

وما كان بيني وبينكِ وهمْ

وقلبَكِ لم يرمِ قلبي بسهمْ

ولكنْ..

كأنّكِ شخص غريبْ!

غريبين صرنا..

كأنّ الذي كان بعضُ الخيالْ

لهونا معا بقصور الرمالْ

فهبّتْ علينا رياح الشَّمالْ

وكنّا احتمينا برمل كثيبْ

وها نحن جئنا!

فكيف التقينا بكل برودْ؟

ومن أين جئنا بهذا الجحودْ؟!

وكيف جلسنا بهذا الجمودْ؟

لنبحث عن أيّ شيء يُقالْ!

وكيف وصلنا إلى أنْ نفكّر من سوف يضعُف أو ينتصرْ!

وكيف أخذنا قرار الرحيل بكلّ عناد.. ولم ننكسرْ

وكيف تركتُكِ دون وداعٍ! فسرتِ.. وقلبيَ لم ينفطرْ

وحين تركتُكِ.. كيف جلستِ بغير اكتراثٍ!

ولم تُهرعي لتقولي انتظرْ؟!

أمّ جعفر

ألا ليت ودّا كان منكِ يؤوبُ . . وقلبا سقيما من هواكِ يطيبُ
وليت الذي قد كان يا أمَّ جعفرٍ . . يثوب إذا ريح الشَّمال تثوبُ
وليت القطا إذ طار في جوف ليلة . . يبلّغ أنّ النفس فيكِ تذوبُ
عجبت لحبّ بين لحمي ومهجتي ... مقيمٍ، وقد مرّت عليه حقوبُ
فلّله درّي أنّ حبِّيكِ لم يزلْ . . بقلبي، وكم جمّتْ عليه خطوبُ
وما ذاق قلبي من سواكِ صبابة . . وما بات في نفسي سواكِ حبيبُ
ولي من حديث الحبّ ما لو ذكرتُه . . لشبّ بقلبي حرقة ووجيبُ
فإنْ كنتِ عن عينيَّ بتِّ بعيدة . . فإنّكِ من جوف الفؤاد قريبُ

لماذا خَرِسْت؟!

ألم تكُ تبصر فيها المنى؟

لماذا يئسْت؟

ألم تكُ تسعد حين تراها؟

لماذا بئسْت؟

ألم تكُ رؤيتها يومَ عيدْ؟

فها هي قادمة من بعيدْ

أجبْني.. لماذا تغيّر وجهكَ حتّى عبَسْت؟

ألم تكُ تخرج كلّ صباح لتبحث عنها؟!

أجبْني.. ألم تشتهِ الوصل منها؟

فها هي تجلس حيث جلسْت!

أما كنتَ تدرس كيف يكون العتابْ؟

أما كنتَ تدرس كيف ستُشفي الغليلَ.. وكيف العقابْ؟

أما كنتَ تدرس كيف تجرِّعها من كؤوس العذابْ؟

فماذا فعلتَ بما قد درسْت؟!

أجبْني

ألم تنتظرْها لتخلط برد يديكَ بدفء يديها؟

لكي تتصلّى بجذوة شوق على شفتيها؟

ألم يمتلئْ بالأحاديث صدرُكَ من أجل يوم الحديث إليها؟

فها هي تُصغي إليكَ فقلْ لي

لماذا خرِسْت؟

أمنية

تمنّيتُ لو كنتُ هذا الضعيفْ
أغيب فيقهر قلبي الحنينْ
وأُخفي اشتياقي.. وعيني تُبينْ
وأبكي وأصرخ حتّى الجنونْ
ويغلبني الشوق حتّى أذلّ
تمنّيتُ لو أنّ بعدًا يُخيفْ!
ويغصبني الشوق كي أرجعا
وتذرف عيني.. ولو أدمعا
أخِرّ على ركبتي راكعا
تمنّيتُ لو لم أكنْ كالجبلْ
ولو أنّني عاشق منهزمْ
بكى وتوسّل من أجل وصلْ

ولو أنّني ذقتُ طعم الألمْ

ولو أستغيث وأُبدي النّدمْ

ولو بُحّ صوتي.. ودمعي انهمرْ

ولو أنّ عجزا بدا ببكائي

لعلّي أذلّ به كبريائي

فأتّبع الشوق كيف أمرْ

تمنّيتُ لو أنّ قلبي ورقْ

يُحبّ وفي لحظة يحترقْ

تمنّيتُ ضعفا كضعف البشرْ

تمنّيتُ خوفا.. حنانًا.. هوانًا

ولكنّني صنم من حجرْ

والله يعلم

شُرع الملام لكلّ من لا يعذرُ . . فدعوا الملام فإنّ قلبي مُسجرُ
وترفّقوا إنّ الذي في مهجتي . . لم يلقَه في الهاجراتِ مهجّرُ
حوراء قد أجلى ملاحةَ وجهها . . . غمازاتان به.. وثغر مُثغرُ
زار الغرامُ ولم يجئْ مستأذنا . . فأقام عندي ساهرا يتضوّرُ
ضيّفتُه عاما.. وماذا في يدي؟! . . هل كان في نار الغرام مخيّرُ؟!
والله يعلم قبل علمي أنّني . . قد كنتُ من طيف الهوى أتستّرُ
حتّى بدتْ كالبدر عند تمامه . . فاغتالني طرف كحيل أحورُ
والله يعلم أنّني عُلّقتُها . . وإذا سُئلتُ فإنّني لا أُنكرُ
والله قدّر بُعدها فشكرتُه . . فهو الذي في كلّ حال يُشكرُ
والله يعلم أنّ ما لي حيلة . . أحببتُها كرها، وكرها أهجرُ

ولها أعودْ

ولها أعودْ

كالطفل عاد لأمّه بعد التخبّط والشرودْ

ولها أعودْ

وكأنّها وطني البعيدْ

وكأنّ قلبي زورقٌ

ألقتْ به الأمواج في البحر المديدْ

ولها أعودْ

بعد الجموح والاندفاعْ

من بعد أنْ سافرتُ لا ألوي.. وأرفض الاستماعْ

وتركتُ حتّى الماء خلفي والمتاعْ

أغرقتُ نفسي بالذنوبْ

وسلكتُ آلاف الدروبْ

وكسرتُ شوقي والشراعْ

وابتعتُ من دنيا الهوى ما لا يُباعْ

وغمستُ وجهي في المخانق والنحورْ

وشممتُ آلاف العطورْ

أصبحتُ كالدرويش طاف على المكاحل والمراود والخصورْ

وظللتُ في سُكرٍ أدورْ

حتّى إذا انقشع البَخورْ

ورأيتُ أنّ الحبّ عرضٌ وابتياعْ

جسدٌ.. وأفواهٌ جياعْ

أنهكتُ قلبي دون داعْ

وجمعتُ لذّات بقدر المستطاعْ

حتّى بدا ما كان يخفيه القناعْ

ذئبٌ.. وحُمْلان.. وراعْ

ووجدتُ قلبي تائها بين العيون الخادعاتْ

بين القلوب.. وحبّها.. وندائها.. والذكرياتْ

ورأيتُ بين الذكريات وحزنها أملا بدا لي في خفوتْ

أملا بدا كالنجم بين الليل حيّا لا يموتْ

ووجدتُ نفسي دون إدراك أعودْ

مثل الطيور غدتْ وعادتْ للوكورْ

كالأرض حول الشمس في فَلَك تدورْ

مهما أضلَّ أجدْ هواها وِجهتي

فأعُدْ لأبدأ من جديدْ

أمضي مع الأيام في وادٍ سحيقْ

في ثورة تجتاح عقلي كالحريقْ

لكنّني بعد الشرود مع الهوى حتما أُفيقْ

ولها أعودْ

مستقبلا عطر الورودْ

وكأنّها الجنّات في حِضن الرُّبَى

وكأنّني الطير الغريدْ

ولها أعودْ

وكأنّني طفل وليدْ

أحبو إليها من بعيدْ

أبكي وأُخفي عورتي متسترا

وممزّقا ثوب الجحودْ

ولها أعودْ

للنور.. والقلب الودودْ

وكأنّها جنّات عدن والخلودْ

وكأنّ نفسي بعدها عدمٌ.. وعينيها الوجودْ

دعـــاء الرسول

غَرِيـــبٌ بِـــلا سَـــفْرٍ، كَلِيـــلٌ وَمُجْهَـــدُ عَـــلَى ضـــامِرٍ أَسْـــعَى، وَإِيَّـــاكَ أَقْصِـــدُ

أَسِـــيرُ عَـــلَى نِضْـــوِي، أَجُـــوبُ مَفـــازَةً وَلَسْـــتُ بِخِرِّيـــتٍ، وَزادِيَ يَنْفُـــدُ

أَطَلَّ غُطاشُ اللَّيْلِ، وَاسْتَوْحَشَ الدُّجَى وَلَكِـنْ، ظَـلامُ الـنَّفْسِ أَغْشَـى وَأَسْـوَدُ

يَسُـــدُّ أَمـــامِي كُـــلَّ فَـــجٍّ، فَـــأَيْنَما تَوَجَّهْـــتُ يُـــدْرِكْنِي غَـــمامٌ مُلَبَّـــدُ

بِصَرْـدَحَةٍ لا شَيْءَ فِيهـا سِـوَى الـرَّدَى فَـــلا كِـــنَّ يَحْمِينِـــي، وَلا بِئْـــرَ تُـــورَدُ

أُقَلِّـــبُ وَجْهِـــي فِي السَّـــماءِ فَـــلا أَرَى بَصِيصًـــا مِـــنَ الشِّـــعْرَى يَلُـــوحُ فَيُرْشِـــدُ

وَلا فِي ظَـــلامِ اللَّيْـــلِ أَمْـــنٌ وَلا هُـــدًى وَلا لِي مَـــلاذٌ آمِـــنٌ حِـــينَ أَهْجُـــدُ

فَهِمْتُ عَـلى وَجْهِـي، كَسِـيفًا وَمُوجِسًـا وَرائِـــي وَقُـــدّامِي ظَـــلامٌ مُمَـــدَّدُ

إِلَى أَنْ تَجَلَّى النُّورُ، كَالشَّمْسِ فِي الضُّـحَى وَأَدْرَكَنِـي رَكْـبٌ وَقَـدْ كِـدْتُ أَهْمُـدُ

أَشـــارُوا بِـــماءٍ، ثُـــمَّ قـــالُوا وَأَقْبَلُـــوا: هَلُـــمَّ إِلَيْنـــا، قَـــدْ دَعـــاكَ مُحَمَّـــدُ

دَعـــاكَ رَسُـــولُ اللهِ أَنْ إِيـــتِ رَكْبَـــهُ لَعَلَّـــكَ يـــا حَـــيْرانُ تُهـــدَى فَتَرْشُـــدُ

وَجـــاؤُوا بِثَـــوْبٍ طـــاهِرٍ وَمُطَيَّـــبٍ وَقـــالُوا: لَـــدَيْنا فِي الرَّواحِـــلِ مَقْعَـــدُ

هَلُـــمَّ وَلا تَرْهَـــبْ وُعُـــورَةَ مَسْـــلَكٍ فَـــإِنَّ صِراطَ الْحَـــقِّ سَـــهْلٌ مُمَهَّـــدُ

مُحَمَّـــدُ، لا خَـــوْفٌ بِرَكْبِـــكَ إِنَّـــهُ بِـــأَعْيُنِ رَبِّ الْعـــالَمِينَ مُسَـــدَّدُ

تَبـــارَكَ مَـــنْ رَبّـــاكَ بِـــالْحِلْمِ وَالتُّقَـــى وَآتـــاكَ مِـــنْ نُعْـــمَاه مـــا لا يُعَـــدَّدُ

وُلِـــدْتَ بِيَـــوْمٍ كـــانَ فِي الـــدَّهْرِ مُفْـــرَدًا كَجَـــوْهَرَةٍ وَسْـــطَ الْقِـــلادَةِ تُفْـــرَدُ

فَـــإِيوانُ كِسْرَ__ـــى مائِـــدٌ بارْتِجاسِـــهِ وَأَلْسِـــنَةٌ مِـــنْ نـــارِ فـــارِسَ تَخْمُـــدُ

وَيَـــوْمَ أَتَـــى جِبْرِيـــلُ فِي الْغـــارِ لَمْ يَكُـــنْ لَـــدَى الـــدَّهْرِ يَـــوْمٌ- مُنْـــذُ آدَمَ- أَسْـــعَدُ

فَجـــاءَكِ بِـــالْقُرْآنِ نُـــورًا وَرَحْمَـــةً بِـــهِ مُعْجِـــزاتٌ بِالرِّســـالَةِ تَشْـــهَدُ

مُحَمَّـــدُ مَـــنْ إِلّاكَ بِالْقِسْـــطِ قـــائِمٌ وَبِـــالْحَقِّ وَالـــرُّوحِ الْأَمِـــينِ مُؤَيَّـــدُ

فَفِي الْأَرْضِ مَحْمُودٌ، وَفِي النَّاسِ أَحْمَدُ وَفِي الْمَلَإِ الْأَعْلَى أَعَزُّ وَأَمْجَدُ

مَقامُكَ عِنْدَ اللهِ لا شَيْءَ فَوْقَهُ وَذِكْرُكَ فِي أُمِّ الْكِتابِ مُخَلَّدُ

بِعَدْلٍ وَإِحْسانٍ وَبِرٍّ وَرَحْمَةٍ كَأَنَّكَ مِنْ آيِ الْكِتابِ مُجَسَّدُ

عَلَى خُلُقٍ لَمْ يَشْهَدِ الْخَلْقُ مِثْلَهُ بِهِ أَنْتَ مَحْمُودُ الشَّمائِلِ سَيِّدُ

فَحِلْمُكَ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ رَزَانَةً وَكَفُّكَ مِنْ وَبْلِ الْغَمامَةِ أَجْوَدُ

وَعَفْوُكَ مَأْمُولٌ وَجَنْبُكَ لَيِّنٌ وَحِلْمُكَ سَبّاقٌ وَبابُكَ يُقْصَدُ

مُحَمَّدُ كَمْ نَرْجُو شَفاعَتَكَ الَّتِي بِها يُعْتِقُ الرَّحْمَنُ عَبْدًا يُوَحِّدُ

فِداكَ أَبِي يا سَيِّدِي وَعَشِيرَتِي وَنَفْسِي وَأَوْلادِي وَما تَمْلِكُ الْيَدُ

عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ فِي كُلِّ طَرْفَةٍ وَفِي كُلِّ حَرْفٍ مِنْ أَذانٍ يُرَدَّدُ

وَصَلَّى عَلَيْكَ اللهُ ما دامَ بَيْتُهُ يَطُوفُ بِهِ عَبْدٌ يُلَبِّي وَيَسْجُدُ